وجوه الاغتراب في علاقة الشباب السوري بالسياسة

بكر صدقي

من بين الصِّفات التي أُطلقتْ على الرئيس السوري بشّار الأسد، نجد أنّ صفة «الشابّ» هي الأكثر حضورًا. وعلى الرغم من حيادها الظاهري، فقد أُريدَ تحميلُها دائمًا بحزمة من القيم الإيجابية، كالدينامية والأمل والتفاؤل ومواكبة العصر. وبمعنى ما، فقد تمّ تحميلُ «شبابه» مهمّاتٍ جسيمةً لتجاوز «شيخوخة» النظام في سوريا على جميع المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وفي المؤتمر القطْري العاشر لحزب البعث الحاكم تمَّ التخلّصُ من معظم الوجوه «الشائخة» ممّن شاع إطلاقُ تسمية «الحرس القديم» عليهم، وهو ما يعني أنّ السلطة باتت اليومَ بيد «الشباب،» وقد يوحي بأنّ الشباب في سوريا منخرطون في الشأن السياسي إلى أبعد الحدود. لكنْ، في المقلب الآخر، يلاحِظ المراقِبُ من خلال الاعتصامات أو الظهور الإعلامي أو المنتديات أو غيرها من الأنشطة أنّ الكهول والشيوخ هم الفئة العمرية الغالبة على مشهد المعارضة السورية. فكيف ترتسم، إذن، العلاقةُ بين الشباب السوري والسياسة؟

يتطلّب الجوابُ على هذا السؤال توسيعَ نطاق النظر ليَشْمل الجزئياتِ الدقيقة من الظواهر، الأمرُ الذي يَفْرض نوعًا من التصنيف الذي يتطلّب بدوره معيارًا مرجعيّاً يتمّ على أساسه. وقد وجدتُ أنّ كلمة «الاغتراب» يمكن أن تساعد في قراءة المشهد وتوصلَنا إلى نتائج مفيدة. إنّها مجردُ كلمةٍ إجرائية، ولا أريد تحميلَها أكثرَ من هذه الوظيفة. وأدرك، في المقابل، أنّ قراءتي لا تقوم على منهج علميّ صارم، بل تقتصر على رصد ظواهر، وتحاول الربطَ فيما بينها أو تفسيرَ بعض جوانبها.

أَوْحتْ لي بهذه الكلمة جلسةُ نقاش انعقدتْ منذ أكثر من عامين، وضَمّتْ فريقين. تكوَّنَ الأولُ من عَدد من كهول المعارضة ـ وكانوا في أواخر السبعينيات من القرن المنصرم طلاّبًا جامعيين ـ فيما تكوَّنَ الثاني من طلاّب ما زالوا في جامعاتهم وشكّلوا أغلبية الجلسة. دار النقاشُ حول البحث عن أسباب شيخوخة المعارضة السورية، وكان لافتًا أنّ جواب معظم الشباب تمثَّلَ في نقد المعارضة التي لا تقدِّم للشباب سياساتٍ جذّابةً تثير اهتمامَهم. في حين أنّنا في السبعينيات، حين كنّا في أعمارهم، لم نطالب المعارضةَ بسياسات جذّابة، بل انخرطْنا فيها لأنّ شؤون البلاد العامة تهمّنا؛ أي أنّنا لم نتصرّف كـ «فئة نوعية» لها مطالبُ خاصّةٌ بها.

ليس من العدل طبعًا أن نطالب الشبابَ اليومَ أن يكونوا كما كنّا ـ فلكلِّ زمانٍ منطقُه. غير أنّه من المشروع أن نتساءل: ترى هل حوّلناهم نحن إلى «فئة نوعية» بفعل خوفنا من انقراضٍ بيولوجيٍّ محتملٍ للمعارضة إذا لم تتداركْ نفسَها وتستقطبِ الأجيالَ الشابة؟ أَمْ أنّ الشباب يتمزّقون بين الحاجة إلى رعايةٍ أبويةٍ يموِّهون عليها بالنقد الحادّ للمعارضة، والرغبةِ في استقلالٍ يعجزون عن إحرازه؟ في جميع الأحوال كشفت الجلسةُ عن وجودِ ما سمّاه ياسين الحاج صالح، في محاضرةٍ ألقاها في منتدى جمال الأتاسي للحوار في أواخر العام الماضي، بـ «الفجوة الجيلية.» وإذا كان من الممكن إرجاعُ هذه الفجوة إلى مفاعيلِ ابتلاع السلطة للمجال العامّ وإجهازها على أيّ هامش مستقلّ للفعالية الاجتماعية على مدى العقدين الأخيرين من القرن العشرين، فإنّه لا يقدِّم تفسيرًا كاملاً للانقطاع شبه الكامل بين الشباب والمعارضة.

فلنحاولْ، إذن، تأويلَ جواب الشباب المذكور أعلاه على نحو آخر. وعليه، فإنّ عبارة «ليست لدى المعارضة سياساتٌ جذّابة تثير اهتمامَ الشباب» قد تعني أنّ خطابها السياسي لم يتغيّرْ منذ ربع قرن وبات متقادِمًا. وهذا صحيح إلى حدّ كبير. فضلاً عن أنّ خطابها هو نفسه خطابُ السلطة في خطوطه الأساسية؛ ذلك أنّ مطالبةَ المعارضة بالديموقراطية والحريات الأساسية تندرج في إطار «تمتين الوحدة الوطنية في مواجهة الأخطار الخارجية» (وليس كمطلب مستقلّ يستمدّ شرعيتَه من ذاته)، وهو عينُ ما يشدِّد عليه خطابُ السلطة حين يتحدّث عن الوحدة الوطنية و«رصّ الصفوف» في مواجهة الأخطار ذاتها.

كانت العقيدةُ الرسميةُ للنظام الحاكم، ولا تزال، المصدرَ الأهمَّ لتشكيل الرأي العامّ والوعي السياسي لدى معظم السوريين ـ بمن فيهم الشباب. في هذا الإطار يمكن أن نرى إلى ظاهرة

وجوه الاغتراب في علاقة الشباب السوري بالسياسة

لافتة قامت بتشكيلها مجموعةٌ من طلاّب جامعة حلب في السنوات القليلة الماضية، وتمثّلتْ في نشاط مستقلّ أراد النظامُ أن يقضي عليه باعتقال محمد عرب ومهنّد الدبس في نيسان (أبريل) ٢٠٠٤. كان أبرزَ نشاطات تلك المجموعة القيامُ بعدد من التظاهرات الطلابية السلّمية تضامنًا مع الشعبين الفلسطيني والعراقي، وقد تُوِّجتْ باعتصام احتجاجيّ على المرسوم الجمهوري الذي تتخلّى بموجبه الدولةُ عن التزامها بتشغيل خرِّيجي كليّات الهندسة.

في كلا النشاطيْن نرى إخلاصًا للعقيدة القومية التقدمية والسياسات المشتقة منها، في ما يُشْبه رسالةَ تمرُّدٍ أبناء النظام على الأب الذي حادَ عن الخطّ الذي رَسَمه بنفسه لهم بل وأرغمهم على اتّباعه.

عندما نقرأ الموادَّ التي كتبها عددٌ من أولئك الطلاّب ونُشرتْ على مواقع إلكترونية، نرى أنّها تَصْدر عن شعورٍ عميقٍ بالإحباط ناجمٍ عن التناقض بين خطاب السلطة وممارساتها السياسية، ويجدُ تعبيرَه في نقدٍ حادٍّ للسلطة لعدم ردِّها ـ مثلاً ـ على الاعتداءات الإسرائيلية في عين الصاحب ودمشق، أو لممارساتها القمعية، أو لتخلّيها عن التزاماتها الاجتماعية، أو للفساد المستشري في مفاصلها.

هذه الظاهرة بقيتْ محصورةً في حدود ضيقة لم تتجاوزْها إلى الجامعات السورية الأخرى ولا إلى الإطار الاجتماعي الأوسع، على الرغم من المحاولات التي تمت في هذا المنحى. ويعود سببُ ذلك، في رأيي، إلى غياب أهداف وطنية جامعة وتصوُّرات ملموسة للوصول إليها لدى مختلف الفئات الاجتماعية. وإذا كان ذلك خارج حدود هذا المقال، فسوف نرى بعضَ مفاعيله في جوانب من علاقة الشباب السوري بالسياسة.

ثمة ظواهرُ ثلاثٌ بارزةٌ في لوحة الشباب السوري: البطالة التي تقدِّرها بعضُ المصادر المستقلة بنسبة ٢٠٪ من قوة العمل وهي تتفاقم عامًا بعد عام؛ والتديُّن؛ وأخيرًا نوعٌ من العدمية يُمْكن تلمُّسُ أشكالها في الإشاحة عن الشأن العامّ والكفر بالإيديولوجيات والانغماس في اللحظة الراهنة بوصفها الوجودَ اليقينيَّ الوحيد.(١)

ننطلق من هذه المقدِّمات لنَرْصد أبرزَ مظاهر اغتراب الشباب السوري في علاقته الفعلية أو الافتراضية بالسياسة:

١ ـ اغتراب إيديولوجي: وأكثر ما نلاحظه يقوم في اتّساع رقعةِ التديُّن ذي الطابع السلفي باعتباره نوعًا من الافتراق عن الواقع وهروبًا من بؤسه (المتمثّل في البطالة والفقر وانسداد الأفق القومي والحضاري). أما من بين من المظاهر المعتدلة فنَذْكر التديُّنَ الفردي البسيطَ أو التبعيةَ لشيوخ معتدلين، كالبوطي والمرحوم الخزنوي ومحمود عكام، على اختلاف توجّهاتهم وأدوارهم السياسية. كما نَذْكر ما بات يُعرف بـ «مجموعة داريّا،» ومجموعة اللاذقية التي تُدعى «صُنّاع الحياة» وتهتدي بأفكار الداعية المصري الشهير عمرو خالد. وقد تعرَّضت المجموعتان للاعتقال وأُطلق سراحُ معظمهم لاحقًا. أما مظاهرُها

١ ـ في العدد ١٦ (والأخير) من جريدة **المبكي** الأسبوعية تحقيقٌ لعبد الرزاق دياب عن عَبَدة الشيطان في سوريا، نقتطف منه ما يلي:

«تقول ديما. ا.، في ما كتبتْه للمحرِّر على شكل بيان عن المجموعة: ' نحن مجموعةٌ من الشباب، اجتمعنا على حبّ شيءٍ واحد هو موسيقا الميتال. لسنا منظمةً أو حركة... الميتال موسيقا منبوذةٌ، وبالتالي محبو الميتال منبوذون أيضًا '.

وفي شهادة أخرى لفتاةٍ يَرْمز لها المحرِّر بـ (ديما. ص.) ويصفها كما يلي: «فتاة عادية المظهر، تَلْبس بعضَ الخواتم الغريبة والعادية. [أنّها] خواتم على شكلِ أفاعٍ، على عكس ديما.ا. التي تبالغ في أظهار غرائبها من أقراط على شكل جماجم وقلادة تحمل وجه الشيطان وترتدي السواد، تقول ديما: «نحن لسنا عبدةَ شيطان. فأنا فتاة مسلمة. أؤمن بأنّ الله موجود، والقدر مكتوب. أُحبُّ فيروز وماجدة الرومي وزياد الرحباني. فرحتُ عند تحرير الجنوب اللبناني، وحزنتُ لسقوط بغداد... ولكنّ الواقع مخيِّب ومأساوي... الميتال هو اعتراضٌ مريرٌ على عدم ديموقراطية التعبير من المنزل إلى الجامعة إلى المجتمع، ولهذا أحببتُه. وقلادةُ الشيطان هي الوجه الحقيقي للعالم الذي نحياه.» (**المبكي**، العدد ١٦، ٢٠٠٥/٥/٢٢، ص ١٣).

القول إنّ المعارضة ليست لها سياسات تَجْذب الشباب قد يعني أنّ خطابها لم يتغيّر منذ ربع قرن، بل هو خطاب السلطة في خطوطه الأساسية

المتطرفة فهي أكثر سريّةً من أن نَعْرف حجمَها ومدى فاعليتها، ويُمْكن رصدُ تجلّياتها في ظاهرة المجاهدين في أفغانستان سابقًا والعراق لاحقًا. ومن دُعاتها المشهورين شخصٌ يدعى بـ «أبي القعقاع،» مثيرٌ للجدل، ويقال إنّ له علاقات ملتبسة بجهات أمنية؛ يقوم بنشاطاته علنًا، وله أتباعٌ كثيرون في المناطق الشرقية والشمالية من البلاد.

كما يُمْكن أن نُلْحِقَ بالظاهرةِ نفسِها الشبابَ المنضويَ في صفوف عدد من الأحزاب العلمانية، التي استَبْدلت السياسةَ بالإيديولوجيا. وأعني أحزابًا في الجبهة الحاكمة، وأخرى خارجَها في المعارضة، من خلال الإيديولوجيا الماركسية ـ اللينينية مثلاً.[1]

٢ ـ اغتراب انتهازي: يَظْهر هذا النوعُ من الاغتراب في أوساط الشباب البعثي بصورة خاصة، ممن ينضمّ إلى الحزب الحاكم والمنظّماتِ التابعةِ له طمعًا في مكاسبَ ماديةٍ أو معنوية. ويقوم اغترابُ أغلبية هؤلاء الشباب على دفاعهم عن سلطة لا تعبّر عن مصالحهم، حتى بالمعنى الحَرْفي الضيق. إنّ حادثةَ اعتداء الطلاّب البعثيين على زملائهم المعتصمين في ساحة جامعة حلب (شباط/فبراير ٢٠٠٤)، احتجاجًا على المرسوم الجمهوري الذي ألغى تعهُّدَ الدولة بتوظيف المهندسين، هي مثالٌ نموذجيٌّ على هذا النوع من الاغتراب، علمًا أنّ بين المعتصمين الذين تعرّضوا للضرب عددًا لا بأس به من البعثيين. ثم تكرّرتْ هذه الممارسةُ عندما هاجم طلابٌ بعثيون اعتصامًا للمعارضة أمام القصر العدلي في دمشق بمناسبة ذكرى إعلان حالة الطوارئ المستمرة منذ ٤٢ عامًا، فنكّلوا بالمعتصمين على مرأًى من رجال الأمن.

تَنْبع هذه التصرّفات من تسليم الناس، ومنهم الطلاّبُ والشبابُ بصورة أعمّ، بقَدَريةِ وأبديةِ السلطة الحاكمة، التي تماهتْ في وعي الناس مع الدولة. وقامت تلك «الدولة» على نواظمَ معينةٍ، تأبّدتْ بدورها، وتؤثّر بشدة في رسم مصائر الأفراد والجماعات، بدلالة علاقتها مع السلطة سلبًا أو إيجابًا: فإذا كان التقرُّبُ من السلطة وتملُّقُها وتنفيذُ تعليماتها تُجنِّب الأفرادَ المخاطرَ أو تحقّقُ لهم مكاسبَ في الارتقاء الاجتماعي أو تمرير المصالح الفردية من فوق القانون أو تحته، فإنّ معارضة السلطة ـ حتى بالنقد الشفهي لممارسات معينة أو أشخاص معينين ـ تؤدّي إلى مصائر مجهولة: بدءًا بالطرد من جنّة المكاسب والامتيازات، وانتهاءً بمخاطر وجودية من فقدان الحرية حتى فقدان الحياة.

هذان، الثواب والعقاب، يَدفعان عمومَ الناس إلى حالةٍ بدائيةٍ تحرّكُها غرائزُ الخوف من جهة، والتنمُّر دفاعًا عن السلطة وتمثيلاتها إمعانًا في إثبات الولاء من جهة ثانية.

٣ ـ اغتراب عن المكان: ويتمثّل في الهجرة، أو في حلم الهجرة الذي يغذّي آمالَ مَنْ لم يحظَ بالهجرة الفعلية. وإذا كانت دولُ الخليج قُطبًا جاذبًا للهجرة في عقد السبعينيات، فقد أصبحتْ أوروبا وأميركا وباقي دول العالم تنافِسُ دولَ الخليج في أحلام الشباب السوري. ولكنْ ثمة فارقٌ بين الحالتين: فالهجرة إلى دول الخليج تعني دائمًا هجرةً موقّتةً لتحسين مستوى الحياة بمقوّماتها، المتمثّلةِ في شراء بيتٍ وسيارةٍ وإقامةِ مشروع خاصّ يُغني عن العمل المأجور؛ أما الهجرة إلى الدول الأخرى، وخاصةً أوروبا والأميركيّتان، فهي تعني في الغالب هجرةً دائمة، دوافعُها مزيجٌ من الاقتصاد والسياسة والثقافة، وقوّتُها

١ ـ في ندوة نقاش حول الديموقراطية والدستور السوري، نظّمها الحزبُ الشيوعي ـ جناح يوسف الفيصل، أذهلني ابتعادُ أغلب المتداخلين عن الواقع والحياة. أكثرُ من متداخل قال: «نعم، نحن مع الديموقراطية، ولكنْ يجب أن نحدّد بوضوح: الديموقراطية لمن؟ إنْ ما يُطرح هو ديموقراطيةٌ لصالح البورجوازية، وهذا مرفوض» ـ وكأنّ ما هو قائمٌ في سوريا هو لصالح البروليتاريا! متداخلٌ آخر تمادى في الاستغراق في عالمِ أوهامه، فدعا إلى محاربة البورجوازية بالسلاح!

أما الناصريون فقد رفعوا في الاعتصامات المندّدة بالحرب على العراق (٢٠٠٣) شعارا يعود إلى العام ١٩٦٨: «لا اعتراف! لا صلح! لا مفاوضات!»

وجوه الاغتراب في علاقة الشباب السوري بالسياسة

المحرّكةُ هي اليأسُ وانسدادُ الآفاق من العيش الكريم في سوريا.

٤ ـ «اغتراب الغريب»: يخصّ هذا المظهرُ فئةً ضيّقةً من الشباب، هم أبناءُ أفرادِ النخبة الحاكمة الذين يتمتّعون بموهبةٍ وحيدةٍ واحتكاريةٍ هي صلةُ الرَّحم التي تربطهم بتلك النخبة. وهم يستثمرون هذه الموهبةَ في جني أموالٍ باهظةٍ ينقلونها بصورة منتظمة إلى المصارف في الخارج، وينغمسون في نمطِ حياةٍ مغتربٍ لا يَرْبطه أيُّ رابطٍ بنمط حياة أفراد الشعب. ويستقطب هؤلاء في استثماراتهم أعدادًا كبيرةً من الشباب ذوي الكفاءات التقنية، بحيث يَخْلقون ما يُشْبه القاعدةَ الاجتماعيةَ، بعيدًا عن الإيديولوجيا البعثية ومؤسساتها (ولكنْ من دون التخلّي عن الولاء للسلطة). ويتمّ إغراءُ هؤلاء الشباب برواتب فوق المعدّل السائد في وظائف الدولة والقطاع الخاصِّ التقليدي، مع أنها تبقى رواتبَ متواضعةً بالمقاييس العَالمية.

هذه الفئة التي دَرَجَ بعضُ كتّاب الصحف على تسميتها بـ «الذئاب الشابّة»[1] تبدو وكأنّها الجزءُ الفاعلُ والأكثرُ ديناميّةً في نخبة السلطة الحاكمة، وهي تتطلّع إلى التخلّص من بقايا الاقتصاد الموجَّه، لتكون طليعةَ الانتقال إلى اقتصاد السوق والعولمة، من غير أن تَفْقد احتكارَها للامتيازات ولله «موهبة» المذكورة آنفًا. وقد عَبَّرتْ هذه الفئةُ عن نفسها بصورة لافتة في شهر آذار (مارس) ٢٠٠٥، بتنظيمها مسيراتٍ حاشدةً تأييدًا للقرار الرئاسي بالانسحاب من لبنان. ولقد أعطتْنا تلك المسيراتُ صورةً عن مستقبل النظام الذي يريده هؤلاء: إنّه «اقتصادُ سوق اجتماعي،» على ما سمّاه المؤتمرُ العاشرُ للحزب الحاكم الذي انعقد في حزيران (يونيو) ٢٠٠٥ .

٥ ـ اغتراب الكردي: للشباب الكردي وزنٌ نوعيٌّ في المشهد السياسي العامّ، رَأَيْنا أحدَ تجلّياته في انتفاضة آذار (مارس) ٢٠٠٤ . يلعب الوعيُ القومي المتنامي دورًا شديدَ الأهميّة في السلوك السياسي للشباب الكردي، مع استمرار أثر العوامل الأخرى المذكورة فيهم (بطالة، فقر، أحلام هجرة، انعدام الحريات... إلخ). وهنا، لا مفرَّ من شيءٍ من التوسُّع في هذا الموضوع، لجلاءِ أبعادِه المختلفة.

ثمة عاملان دفعا إلى زيادة الوزن النوعي للفاعل السياسي الكردي في السنوات الأخيرة. يتمثّل **الأولُ** في المسار الانحداري للوطنية السورية، والصعودِ المتفاقم للانتماءات ما قبل الوطنية، الأمرُ الذي شجّعتْه السلطةُ الحَاكمةُ بصورة مباشرة من خلال توظيف تلك الانتماءات في مهمةِ تأبيدِ السلطة، وبصورة غير مباشرة من خلال تحطيم التكوينات الوطنية الحديثة المتمثّلة في الأحزاب السياسية (الموالية والمعارضة على حدٍّ سواء). وقد تجلّى ذلك المسارُ الانحداري للوطنية السورية لدى الأكراد في التفافهم المتزايد حول الهوية القومية، وهذه ظاهرةٌ صحيةٌ ومرغوبةٌ في حدِّ ذاتها. لكنّه انعكس في مزيدٍ من روح الانعزال أيضًا عن عرب سوريا، وهذا هو الجانب غير المرغوب من وجهة نظر الوطنية السورية الجامعة. ويتغذّى الانعزالُ، فضلاً عن المسار المذكور، على شعورٍ تاريخيّ بالغُبْنِ والتهميشِ السياسي والثقافي والاجتماعي ـ الاقتصادي؛ كما يتغذّى، من جهة أخرى، على حلم الدولة المستقلّة الذي يداعب مخيّلةَ كلِّ كردي بلا استثناء.

كما تَلْعب تطوراتُ الجوار الاقليمي دورًا شديدَ الأهمية في شعور الكردي بإمكانية تحوّل الحلم إلى حقيقة. وهذا هو العامل **الثاني** في زيادة الوزن النوعي للفاعل السياسي الكردي في السنوات الأخيرة. لقد وجد حزبُ العمال الكردستاني، بقيادة عبد الله أوج آلان، البيئةَ المثاليةَ لفاعليّته في المناطق الكردية في سوريا، وشارك آلافُ الشباب من الأكراد السوريين في الصراع المسلّح الذي خاضه الحزبُ المذكورُ ضدّ الجيش التركي في الثمانينيات والتسعينيات من القرن المنصرم. وكان حلمُ الدولة الكردية المستقلة يبدو لهم، في

١ ـ في عدد من مقالات محمد جمال باروت الصحافية.

الشباب عاجزون حتى الآن عن بلورة مبادرات مستقلّة تتجاوز المعارضة ولا تلتحق بالسلطة

ذلك الحين، في متناول اليد. ومع إقامة الكيان الفيدرالي في شمال العراق انتقل الحلمُ إلى هناك. أمّا بعد إسقاط الأميركيين لنظام صدّام حسين فقد أصبحت الشروطُ مكتملةً موضوعيّاً لإمكانية انتفاضةٍ كرديةٍ ضد السلطة تَشْمل جميعَ مناطق وجود الأكراد. بالطبع كان واردًا تجنُّبُ ما حدث لولا السلوكُ غيرُ المسؤول لأجهزة السلطة تجاه حادثة ملعب القامشلي، التي كان يُمْكن تطويقُها بصورة سلمية وبمعاقبة المتسببين. واللافت في أحداث آذار (مارس) أنّ أبطالها بغالبيتهم شبّانٌ صغارُ السنّ، من أشدّ الشرائح فقرًا وتهميشًا، التقطوا الفرصةَ ليعبِّروا عن سخطهم على الحياة المزرية التي يعيشونها. لقد شعر كلُّ كرديّ في سوريا، في آذار وما بعد، بأنّه مستهدفٌ في أمنه، لمجرد أنّه كردي. وبالمقابل، شَعَرَ كلُّ كردي بواجب التضامن مع إخوته الأكراد الذين تعرَّضوا للتنكيل والقتل، وامتلك كثيرون منهم شجاعةَ النزول إلى الشارع تعبيرًا عن هذا التضامن.

هذا الشعور القومي الجامع يستحقّ كلَّ احترام بعد أن أَثْبت قدرَته على الفعل. لكنّ «اغتراب» الشباب الكردي يَكْمن بالضبط في هروبه إلى حلم يرى احتمالَ تحققه ليس هنا بل «هناك» (في تركيا مرةً وفي العراق مرةً)، الأمرُ الذي يوسِّع من جبهة خصومه ويوحِّدهم ضدَّه (أنظرْ إلى سلوك المعارضة الديموقراطية السورية تجاه أحداث آذار) ويفاقم من عزلته في الإطار الوطني السوري، من غير أن يلوحَ في الأفق احتمالُ الاستغناءِ عن هذا الإطار بآخرَ «كردستاني.»

خاتمة

نَخْلص إلى القول إنّ السمة الغالبة على علاقة الشباب في سوريا بالسياسة هي الاغتراب بمختلف تجلّياته، لا يَنْتقص من هذا الحكم التحاقُ أعداد كبيرة منهم بالحزب الحاكم ومنظّماته الملحقة به، أو أحزاب جبهته، أو نقاباته المهنية والقطاعية. فجميع هذه الهياكل البيروقراطية تَلْعب دورًا نابذًا للسياسة، إذا كانت هذه تعني المجالَ العموميَّ بتنوُّعه وتناقضاته التي تعكس التنوُّعَ الاجتماعي وتناقضاته. وفي المقابل، تشير القطيعةُ بين الشباب والمعارضة إلى مشكلة تَشْمل طرفي المعادلة: مشكلة في المعارضة التي عجزتْ حتى الآن عن إنتاج برنامج قادر على استقطاب قوى اجتماعية من شأنها خلقُ توازنِ قوًى فاعلٍ أمام السلطة؛ ومشكلة في الشباب العاجزين حتى الآن عن بلورة مبادرات مستقلّة تتجاوز المعارضة، ولا تَلْتحق بالسلطة، مبادرات من شأنها أن تجعل الشباب يسيطرون على مصيرهم ويساهمون في رسم مستقبل بلدهم.

بكر صدقي
كاتب ومترجم عن التركية.